



ناصر الكندي

مصحف فلوجل ومصحف القاهرة: بين التاريخ والمقدّس

رُبما يتفاجأ الكثيرون أن المصحف المطبوع المتداول بين أيديهم يعود أساسه فقط إلى الربع الأول من القرن الماضي، وبالتحديد عام ١٩٢٤م، والمعروف بمصحف الملك فؤاد، الذي تم إصداره في القاهرة، إذ لم تكن هناك مصاحف مُعتمدة على هذا النحو، على الرغم من بعض المحاولات في نهاية القرن العشرين، بما يُعرف بمصحف المخلّلاتي عام ١٨٩٠م. ولكن قد يندهش البعض أيضا أن هذا المصحف القاهري لم يكن سبب ظهوره الحاجة إلى إيجاد مصحف مطبوع أو موحد، بل كان تصحيحاً لطباعة عربية سابقة للقرآن أنجزها المخلّلاتي، وقبله طباعة قام بها المستشرق الألماني «فلوجل» عام ١٨٣٤م في مدينة لايبزج الألمانية، والتي ذاعت في أوروبا لعقود، وفقا لما توصل إليه الباحث «إسلام دية» في مقاله -بمجلة «التفاهم»- «طباعة المصحف بين فيلولوجيا الاستشراق وفيلولوجيا علم القراءات: موازنة بين مصحف فلوجل ١٨٣٤ ومصحف الأزهر ١٩٢٤».

١٩٢٩م. وقد قام عبد الباقي بتعديل منهج فلوجل في عد الآيات، وكذلك انتقاده له بخلطه بين جذور بعض المفردات. ويذكر عبدالرحمن بدوي في «موسوعة المستشرقين» هذا العمل، مُثنيا على فلوجل إنجازَه، ومنتقدا عمل عبد الباقي. كما أود إضافة أن هناك عملا آخر لفلوجل غير طباعة القرآن وفهرسته ألا وهو تحقيقه وطباعته للعديد من النصوص العربية؛ مثل كتاب «كشف الظنون عن أسامي الكتب والفضون» لمؤلفه الحاجي خليفة، وهو من علماء القرن السابع عشر الميلادي، فقد قام فلوجل بتحقيقه وترجمته للاتينية أسفل الكتاب وطباعته ونشره في سبع مجلدات. وقد تناول هذا الكتاب أسماء خمسة عشر ألف مصنف عربي، ويعلق بدوي على هذا العمل في «موسوعة المستشرقين»، بأنه يدحض الفكرة السائدة بأن الكتب العربية قد تم تدميرها في مكتبة بغداد أيام غزو هولوكو. ومن خلال هذه القراءة، هناك مقارنة ضمنية لم يذكرها الباحث ألا وهي مقارنة تأثير طباعة المصحف على المسلمين بطباعة إنجيل لوتر المترجم إلى الألمانية، ونشره في القرن السادس عشر؛ إذ كان الأخير سببا لنشر التعليم ومحو الأمية وإلغاء الوساطة البابوية. بينما لم يكن هذا هو التأثير المباشر لطباعة المصحف القرآني على أتباعه من المسلمين؛ وذلك لغياب المؤسسة الدينية على الطريقة الكاثوليكية، والتي أكد على عدم وجودها الباحث المتخصص في الميثولوجيا فراس السواح في كتابه «الله والكون والإنسان»، حين ينفي صفة المؤسسة الدينية عن الأزهر، وهذا قد لا يرجح رأي الباحث بأن تأخر طباعة المصحف سيهدد العلاقة التقليدية للشيخ بالطالب. إضافة إلى ذلك، تسم علاقة المصحف بالمسلمين بكونها علاقة نصية وليست فقط شفاهية كما يقول الباحث، فالرسم العثماني للحرف العربي في المصحف له سلطة ونفوذ على المخيلة الدينية الإسلامية والفنية (أرابيسك)؛ باعتباره صاحب سر وليس فقط أداة لغوية. وربما يفسر هذا تحفظ لبعض العلماء المسلمين لطباعة فلوجل؛ كونها طباعة بأحرف مستقلة متحركة (غوتنبرغية) بأخطائها الإملائية تنال من الشكل المقدّس المخطوط.

أخرى عام ١٩٢٤م لتصحيح عمل اللجنة الأولى، وكانت النتيجة طبعة حجرية ثانية أصبحت المرجع الأساسي لكل الطباعات خارج مصر؛ ومن أهمها: طبعة مجمع الملك فهد عام ١٩٨٥م. وتجدر الإشارة إلى أن الطبعة المصرية لم تستند في عملها إلى مخطوطات سابقة للقرآن للمقارنة، مثلما فعل سلفهم فلوجل، وغيره من العاملين في طباعة القرآن، بل على علم القراءات الذي يجمع بين العناية بحفظ النص في الصدور وحفظه في السطور. وفي معرض مناقشة الباحث عن مدى تأثير الطباعة في علم القراءات، وفي الطريقة التي تلا بها المسلمون المصحف بعد الطباعة؟ ينوه الباحث إلى أن التأثير كان ضئيلا بسبب شيوع الأمية بين المسلمين في ذلك الوقت، وصلتهم بالقرآن هي صلة سمعية، وربما كان التأثير أكبر في السبعينيات والثمانينيات حين بدأت بعض الدول كالسعودية والمغرب وتركيا بنشره بشكل كبير. كما أن شيوع المصحف كان له أثر عكسي من ناحية قراءته دون الالتزام بقواعده ورسمه وتجويده؛ مما جعل التسجيلات السمعية تنتشر كمحاولة لتغطية هذا النقص من خلال ما يُسمى بـ«المصحف المرتل»، الذي أشرف عليه الأزهر. ويبدو أن أول اتصال عربي مع طبعة فلوجل كان من خلال زيارة المستشرق الألماني برجستسر للقاهرة عام ١٩٢٩-١٩٣٠م، ومصادرة طبعة فلوجل في نقاط التفتيش، وإعادة لها من قبل شيخ المقارئ الحداد، بعد أن تم تذييلها بالعديد من الملاحظات والتصحيحات؛ أهمها: عدم موافقته للرسم العثماني، واحتواؤه على أخطاء إملائية وأخطاء في عد الآيات، كما صنّف المخطوطات إلى مصححة وتفسيرية وأولية بسبب الحواشي التي دُلت من قبل فلوجل على المصحف لغايات تعليمية. وأشار الباحث إلى استقبال العلماء المسلمين الطيب لطباعة فلوجل دون رفضها من خلال مقال برجستسر «قراءة القرآن في القاهرة، والمنشور في العام ١٩٣٢م. ولا يمكن إنكار جهد فلوجل بعمله الكبير «نجوم الفرقان» في أطراف القرآن»، المنشور عام ١٨٤٢م، والذي يُعد بمثابة فهرس لآيات ومفردات القرآن. ولقد استقبل هذا العمل بترحيب شديد من قبل العلماء المسلمين؛ مما دفع محمد فؤاد عبد الباقي إلى محاكاته في كتابه «المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم»، والمنشور في العام

يقدم الباحث إسلام أدية العامل في جامعة برلين الحرة، دراسة مقارنة بين مصحف فلوجل المنشور عام ١٨٣٤م، ومصحف القاهرة المنشور عام ١٩٢٤م، مثيرا عدة أسئلة عن: أسبابه، والسياق الثقافي للطباعة، وأثر هذه السياقات في إخراج الطبعة النهائية للنص، وكيف حصلت طبعة القاهرة على الاعتراف والقبول بين علماء المسلمين وغيرهم من الدارسين في الغرب. ويُشير الباحث في البداية إلى أن فلوجل يعترف بسبق المستشرق الألماني هنكلمان بطباعة أول مصحف في أوروبا عام ١٦٩٤م بهامبورج، واعتمد فلوجل على هذه الطبعة وكذلك من خلال العودة إلى مخطوطات قرآنية ورجوعه إلى مفسرين؛ مثل: الزمخشري، والبيضاوي، وأبي السعود. وقد تعاون فلوجل مع تاوخنتر إذ يُعد الأخير أحد المبتكرين البارزين في مجال الطباعة بذلك الوقت، واعتمد الاثنان على الخطوط العربية للطباعة التي ابتكرها أنتون فون هممر، وقبله المستشرق الألماني جوزيف فون هممر. إلا أن هذه الطبعة لم تتل قبول العديد من المستشرقين؛ وأبرزهم: كارل لورك في كتابه «المرجع في تاريخ الطباعة»، إذ يدرج انتقادات المبشرين الأمريكيين على طبعة فلوجل وعدم اعتمادها على الحرف العربي الأمريكي (American Arabic Font)، الذي ابتكره المستشرقون العاملون في سوريا، ناهيك عن رداءة الطبعة. ويعزو الباحث أسباب عدم تعديل طبعة فلوجل على الرغم من شيوعها بين الدارسين في أوروبا إلى وفاة تاوخنتر، وانتهاء العقد، وإنهاء الشراكة لغياب فلوجل في مركز الجامعي في لايبزج.

أما بشأن مصحف القاهرة، فقد كانت ردة فعل على مصحف المخلّلاتي الذي طبع عام ١٨٩٠م الذي اُسم بمحافظته على الرسم العثماني وأتباعه لقواعد القراءات، إلا أن رداءة الطبعة الحجرية ووجود عدة أخطاء مطبعية كانت محضرة إلى تشكيل لجنة في جامعة الأزهر عام ١٩٢٣م صنّت عالم القراءات عبدالفتاح القاضي ومحمد علي الحداد وحفي ناصف ومحمد الاسكندري. وقد روعي في إنتاج النص الالتزام بالرسم العثماني بقراءة حفص عن عاصم، وعد الآيات والتنقيط وفق كتاب «الطراز على ضبط الخراز» للسنيني. وبسبب بعض القصور في هذا العمل، تم تشكيل لجنة

nskindi83@yahoo.com

النصوص المنشورة تعبر عن وجهات نظر كتابها ولا تعكس بالضرورة رأي مجلة التفاهم أو الجهة التي تصدر عنها.

مجلة التفاهم هاتف: ٢٤٦٤٤٠٣١ - ٢٤٦٤٤٠٣٢، فاكس: ٩٦٨ ٢٤٦٠٥٧٩٩

البريد الإلكتروني: www.altafahom.net - al.tafahom@gmail.com - tasamoh@gmail.com